دور الإنسان في مشروع التنمية عند مالك بن نبي

من إنسان النصف إلى الإنسان الرسالي المنتج

د. محمد التومي

مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية يتونس

مقدمة

مثل مشروع مالك بن نبيّ الفكري والفلسفي محاولة جادّة في الاستنهاض الحضاري في القرن العشرين الذي شهدت فيه الأمة الإسلاميّة نكوصا بسبب الهجمة الاستعمارية الغربية، لذلك فإن مالك بن نبيّ وجّه سهام نقده إلى البنية المعرفية للغرب الكونوليالي واعتبره، على عكس ما يروّج لنفسه، سببا عميقا في تخلف البلاد الإسلاميّة الواقعة تحت نير الاستعمار وخصّ الجزائر في علاقتها بفرنسا الاستعمارية واختار أن يكتب مشروعه باللغة الفرنسية وأقامه على الربط بين نظريّة التأخر والسلوك الاستعماري الذي مارسته الكونوليالية الأوروبية والأمريكيّة على مدى عمر مالك الذي ظلّ مسكونا بالاستنهاض الحضاري ومحاولة الإجابة عن سؤال التنمية وكان الإنسان في مشروعه أسّا متينا وصّفه بالإنسان النصف بسبب قابليّته للاستعمار وهو إنسان مقهور مغدور على حدّ عبارة مصطفى حجازي، وحاول السير به في طريق الترقي نحو الإنسان الكامل أو الإنسان الرسالي كما يبشر به القرآن الكريم.

إن هذا التشخيص الدقيق لحال المسلم المقهور وحال بلاده المهدور سيمكنه من اجتراح سبل بكر في تصوّر النهضة والاستنهاض والإجابة عن سؤال جوهريّ: كيف يمكن تحويل هذا الجمود الحضاري واستلاب الانسان فيه إلى تبيّن مسارب الفعل والسير الآمن في طريق التنمية والوفرة؟ ما هي مواطن الفرادة في مشروع مالك بن نبيّ في محاولاته تجاوز القصور المنهجي لمن سبقه وقدرته على الاستفادة من تصور ابن خلدون دون التخييم فيه وقدرته الفائقة على الاشتباك المعرفي مع عتاة الفكر الغربي والخروج بمسلك في التصوّر الفكري والفلسفي استطاع تعبيده بغاية الخروج من العجز المتراكب وتحقيق نهضة تقطع مع إنسان النصف القابل للاستعمار والخروج من صفة الشيئية القائمة على منطق التكديس استهلاكا والندرة إنتاجا؟ .

ومن خلال هذا الحيّز البحثي نطرح أسئلة نقدّر أهميتها في موضوعنا: أين يتمركز الإنسان في مشروع مالك بن نبيّ وما هو دوره في معيقات النهضة وأشراطها في المجتمعات الإسلامية عموما؟ أين تبدو راهنيّة فكر ابن نبي وفرادة منهجه في التنمية؟

نحاول في هذه الدراسة تبيّن الدور الذي يعلّقه مالك بن نبي على الإنسان في مشروعه التنموي الذي يرمي إلى الاستئناف الحضاري وفق المرجعيّة الإسلاميّة كما حددها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكما فهمها سلفه من المفكرين الإسلاميين دونما تمجيدوية مشطة للتاريخ الإسلامي أو استنقاص مخلّ للدور الممكن للإسلام في مستقبل الحضارة الإنسانية عموما.

I. مشكلة الحضارة: مشكلة الإنسان

يرى مالك بن نبيّ أن أزمة الحداثة الغربية هي أزمة الإنسان الذي غلبت عليه شقوته بالمادة فشقّ طريقه طلبا للمتعة والتفصّي من كل أسباب الروح ومداراتها الأخلاقية التي تسيّجها الأسرة والمجتمع الرسالي المحافظ والتعليم الموجه إلى امتلاك المبادرة وأسباب القوة الممكنة. ولكن الموجود الذي يعاينه مالك بن نبي أن المجتمع العربي الإسلامي أصبح يعاني أزمتين: أزمة الفكر وأزمة الأخلاق، وكلما تزايدت حركة التغيير والتطوير في الغرب ازدادت المشكلة عندنا توهنا وظلالا في الطريق بسبب الانشداد المطلق إلى العالم الغربي الذي عُلقت على أبواب الحداثة عنده كل الآمال والأحلام برغم السراب الخلّب الذي يلفّ أحلامهم وآمالهم. وهو ما استوجب التنبيه إلى الخصوصيات التي استودعها الإسلام في مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

ويجمع ابن نبي العناصر المشكلة للحضارة في الإنسان والتراب والزمن، كما حرص على تبيّن آلتها وهي "الثقافة التي تحرّك الإنسان عبر قنوات أربع: الأخلاق - الذوق والجمال - المنطق العملي – التقنية. وإن تقدم الحضارة تسير بالمجتمع قوة وضعفا، دفعا وهونا، صعودا وهبوطا، تبعا لتمحوره حول الأفكار الأصيلة" [1]

عند تشتت العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما يتحول المجتمع إلى تجمعات لا فائدة منها وهو ما حذر منه رسول الله ص "يُوشِكُ أن تَدَاعَى عليكم الأممُ من كلِّ أُفُقٍ ، كما تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها ، قيل : يا رسولَ اللهِ ! فمِن قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ ؟ قال لا ، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ ، يُجْعَلُ الْوَهَنُ في قلوبِكم ، ويُنْزَعُ الرُّعْبُ من قلوبِ عَدُوِّكم ؛ لِحُبِّكُمُ الدنيا وكَرَاهِيَتِكُم الموتَ" (صحيح أبي داود، رقم 4297) وقد عدّه مالك بن نبي استحضارا لصورة العالم الإسلامي المشتت والمنهك حتى صار في شكل تجمعات لا رابط بينها وهي غثاء كغثاء السيل. والإنسان عنده مرتهن إلى قيمتين: فالإنسان خلقه الله بجوهر ثابت لا يتغير وهو كائن اجتماعي يصنعه المجتمع وتتغير فاعليته من طور إلى طور... وإن جملة العلاقات الاجتماعية هي التي تعلن عن ميلاد مجتمع في التاريخ" غير أن هذا الميلاد لا يكون باتفاق عفويّ بينهم بل تحدده شبكة العلاقات والقيم المنصهرة بين أفراده.

وهو يوضح فكرته بالقول: "الإنسان حينما ينظّم شبكة علاقاته الاجتماعية بوحي الفكرة في انبثاقها، فإنه يتحرك في مسيرته عبر الأشخاص والأشياء المحيطة به فيتخذ العالم الثقافي إطاره في إنجاز هذه المسيرة ويأخذ طابعه تبعا للعلاقة بين العناصر الثلاثة المتحركة: الأشياء الأشخاص والأفكار"[2]

وهو يشترط مبدأ التوازن بين هذه العناصر مجتمعة، إذ أن استبداد عنصر في هذه المعادلة على حساب العنصرين الآخرين يؤدي إلى أزمة تُلقي بظلالها على مسار الحضارة في معالم الطريق. وإن مسيرة الحضارة نحو القوة أو الضعف مرتبط بجودة الأفكار التي انبثقت منها هذه الحضارة والمناخ الاجتماعي والأشياء المحيطة به ونوعها، وإن لكل حضارة نمطَها وأسلوبَها وخيارَها، وإن تمسّك المجتمعات يعود إلى الدور الوظيفي للأفكار التي تنظم فيه إرادة الفرد وتعمل على اطّرادها ضمن شبكة العلاقات الممكنة.

وإن الطغيان حسب ابن نبي يتخذ شكله بحسب الندرة والوفرة.. فهو في الأشياء يُورِث عُقد الكبت والميل نحو التكديس والإسراف في المجال الاقتصادي في مجتمعاتنا المتخلفة والسبب هو الندرة التي خلفت

---

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1970، ص 41

[2] انظر سلامة حدة، المشروع الحضاري عند مالك بن نبي،
https://www.univ-constantine2.dz/dirassatshs/wp-content/uploads/sites/17/2021/10/

التعلق المبالغ فيه. في حين خلقت الوفرة في العالم الغربي الإشباع ومن ثمة شعورا بالرتابة يدفع الإنسان إلى الهروب إلى الأمام والسعي المتواصل إلى تغيير حياته[3].

وكذا طغيان المستبدين فإنه يؤدي حسب مالك بن نبي إلى نتائج كارثية في الإطارين السياسي والاجتماعي تهدم بنيان الفكر والحضارة وهو يؤكد رأيه بمثال يضربه ببلده الجزائر حيث يطغى المال الفاسد في شراء الذمم، وإغراء آخرين بشعارات رنانة جوفاء لا روح فيها ولا معنى، غير التعلق بالمصلحة الذاتية وبذلك يكون كل شيء عندهم سلعة تباع وتشترى، فتغيب الفكرة ويحضر الوثن.

يقول مالك بن نبي: "حين تبصر تلك الأفكار التي صنعت تاريخ العالم النور فإنها ستكون فعالة بقدر إثارتها للعواطف وتشييد أشياء وهدم أخرى أو قلب صفحة من تاريخ الإنسانية، وليست هذه الأفكار بالضرورة صحيحة في كليتها، إذ الأفكار تكون صحيحة أو باطلة في مجال العقيدة كما في المنطق العلمي والاجتماعي"[4] وهو يؤكد أن النخب الإسلامية لا تملك من الآلية ما يمكنها التفريق بين الفكرة وأصالتها سواء في الجانب التقني والعلمي عبر الكتب المستوردة من الغرب، أو في الإطار السياسي والاجتماعي حيث تقلد الآخرين. ويعطي مثل اليابان والصين نموذجين في نجاح الشعوب التي عرفت كيف تستلهم من الحضارة الغربية أسباب نجاحها وتفوقها وتوظيفها في نهضتها التي أصبحت واقعا يضرب للنجاح مع المحافظة على روح الأصالة للمجتمع واجتراح سبل تخصها، وهو النموذج الذي يسعى مالك بن نبي إلى استيضاحه وتبيّنه.

وفي المحصلة فإن النخب العربية المسلمة لم يفعلوا غير استلهام أفكار مغشوشة مسمومة استنبتت في غير بيئتها ومجالها ولم يدركوا كنه الحضارة الغربية في اندفاعها التطوري المستمد من أصالته المقيمة في حدودها الجغرافية، ولا هي بمستطيعة أن تحيي نماذجها الأصيلة في انبثاقها الروحي والأخلاقي... وإن تضافر الأفكار الموروثة الميتة مع الأفكار المجتلبة من أصول غربية جعل منها لعنة كجسر يتداعى بناؤه ويهدد العابرين "[5] ولعل المثل المضروب هنا هو محاولة تطبيق نظرية شاخت على المجتمع الأندنيسي أو نظرية ماركس على المجتمع الروسي.

---

[3] انظر سلامة حدة، المشروع الحضاري عند مالك بن نبي،

[4] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1970، ص 41

[5] نفس المصدر

1. مفهوم إنسان النصف

إن أزمة الحضارة العربية الإسلامية في جوهرها هي مشكلة الإنسان، كما يرى مالك بن نبي، ولذلك فإنه يؤكد أن المدخل الأساسيّة للإصلاح والنهوض يمر عبر الإنسان في بعده التربوي والاجتماعي، وإن أي محاولة للتغيير لا تمر عبر تغيير الإنسان هي محاولة غير مجدية انطلاقا من قوله تعالى: " لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بنفسهم" (الرعد 11)، والغاية هي خلق نموذج ثقافي واجتماعي بديل لإنسان النصف أو الانسان الكَلّ أو انسان الندرة أو الوفرة الذي تربى على أعتاب القابلية للاستعمار، وهو ميسم يمنع أي محاولة للاستنهاض الحضاري أو التنموي. ولذلك فإن عملية التجديد حسب ابن نبي تقوم على بعدين:

- معرفة معوقات التغيير ومن ثمة العمل على تحييدها، وهو ما يسميه التجديد السلبي، وتقوم على إحداث قطيعة مع الماضي
- معرفة عوامل التغيير ومن ثمة العمل على ترسيخها وهو ما يسميه التجديد الإيجابي الذي يقوم على تطعيم الثقافة بأفكار جديدة بناءة تجسّر لها الطريق نحو المستقبل

وقد عرض ابن نبي إلى مختلف المياسم الثقافية العلّية التي تصيب الفرد في المجتمع وتجعل منه إنسان النصف غير الرسالي الذي يسعى إلى إيجاده ليبني عليه مشروعه في الاستنهاض الحضاري. ومن أهم هذه الأعراض التي تطرأ على الفرد:

***التعالم :** وهو وصف يلحقه بالنخبة العربية المسلمة ويعدّها صفة مرضيّة تعني عنده الحرفية الثقافية وادعاء العلم والمعرفة وهو مرض عضال يستعصى علاجه، وهو يختلف عن جهل الأميين إذ هو "جهل حجّرته الحروف الأبجدية فلا يقوّم الأشياء بمعانيها ولا يفهم الكلمات بمراميها "[6]

***الذرية: L'atomisme** وهي عدم القدرة على إدراك الكليات وما يربط بينها من صلات وينشأ عنها انفصام بين الواقع والفكر وقصور على فهم الوقائع في عمقها. وتحول عقل المسلم الى عقل لمسي يقول " إن طريقتنا في الفهم تعدّ لمسية بدل أن تكون عقلية"[7]

* **اللفظية:** وتتمثل في الاستعمال الواسع للألفاظ الأدبية الرنانة والثرثرة في الحديث على حساب الأفكار وهو ما يميز المجتمعات ما بعد الحضارة اليوم حيث أفرغت الكلمات من مضامينها وصارت مجرد ألفاظ

---

[6] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط 4، 1969، ص 91

[7] مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 3، دمشق، دار الفكر، 1988، ص 102

مرصوفة. إضافة إلى المبالغة في التمجيدوية للزعيم الملهم. وفي المستوى الديني تحولت الدروس والمحاضرات إلى هلاميات خارج التصنيف السلوكي.

***الرومانسية:** وهي سمة مرضيّة تعاني منها شعوب المجتمعات ما بعد الحضارة سببه طغيان الخيال والخرافة وألوان البديع والبيان في الأعمال الفكرية وهو ما يساهم في قطع الصلات بالواقع المنظور المستهدف بالإصلاح، نتيجة التأثر بالفلسفات الغربية وسوداوية الواقع بعد الحربين مما اضطر الإنسان إلى الهروب إلى الفن والخيال يبحث عن عزاء فيه من الدمار الذي أصاب العالم في الحربين العالميتين.

-**الفخروالمديح:** يرى مالك بن نبي أن أهم مياسم المجتمع ما بعد الحضارة طغيان عقدة الدونية ضد ثقافة الآخر المهيمن وأن النخبة المثقفة أصيبت بمرض عضال أفقدها فاعليتها وتوازنها وأبعدها عن مواجهة المشكلات الحقيقية للمجتمع ولاستدراك النقص توجهت إلى تمجيد الماضي وبذلك انتكس الفكر واتجه إلى الوراء حيث أصبح العقل المسلم يعيش حالة من الاجترار لمنقولات أثرية عديمة الجدوى.

-**الجدل والتبرير:** وهو حسب ابن نبي من أهم صفات إنسان النصف في مجتمع ما بعد الحضارة حيث يهدر الوقت والجهد في الكلام السفسطائي المفرغ من كل جدوى يبحث فيه عن براهين يثبت بها رأيا مسبقا، وإن شيوع مثل هذا الأسلوب في الحوار بين النخبة في المجتمع العربي الإسلامي، حال دون تحقيق مشروع النهضة.

-**الاضطراب الفكري والسلوكي:** وهو من أهم ما يميّز مجتمع ما بعد الحضارة، ويرى ابن نبي أن المنتج المادي والثقافي الغربي الذي وجد رواجا في المجتمعات العربية والإسلامية أورث اضطرابا فكريا وسلوكيا وتقاطبا مزدوجا بين الأصيل والأثيل أو بين الموروث والوافد مع ضعف آلة النقد والتحليل والتركيب والتكييف[8]. يجملها مصطفى حجازي في قصور التفكير الجدلي وطغيان الانفعالات وضمور العقلانية. وهو ما يؤدي إلى النكوص إلى المستوى الخرافي والبحث عن الحلول السحرية والغيبية

2. القابلية للاستعمار أو الإنسان المغدور إنسان مهدور

يستمد مالك بن نبي مفهوم القابلية للاستعمار من المناخ الثقافي والاجتماعي في مجتمع الانحطاط أو ما بعد التحضر كما يبدو في المجتمعات المستعمرة وكما يظهر في إنسان النصف سلوكا ينحو منحا

[8] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 5، الجزائر، دار الفكر، 1986، ص 79

الاستسلام، حيث يسلّم فيه بالانهزاميّة أمام جحافل الغزو الغربي، والقبول بالواقع الجديد المبني على الاستلاب والاستحمار. ويفرق مالك بن نبي بين الاستعمار بما هو فعل كائن والقابلية للاستعمار بما هو فعل مؤجّل. فكون المسلم غير حائز على جميع الوسائل التي يريدها من أجل تنمية شخصيته وتحقيق موهبته فهذا هو الاستعمار أما القابلية للاستعمار فهي ألا يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل ممكنة وبذل الجهد ليرفع من مستوى حياته بالوسائل المتاحة، وحينما يستسلم إلى الكسل وعدم بذل الجهد فتلك هي القابلية للاستعمار[9].

ومن أهم مظاهر هذه القابلية للاستعمار عند ابن نبي: الخذلان السلوكي والقيمي وتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية وانتشار الفردانية وفساد روابط العالم الثقافي وانعدام الفاعلية وطغيان الشيء.

وإن ظاهرة الاستعمار التي تعرضت لها معظم الدول الإسلامية ما كان لها أن تحدث لولا القابلية للاستعمار التي سبقتها وأدت إليها. ويعيد مالك بن نبي هذه الظاهرة إلى تراجع القيم والمقدسات في المجتمع الإسلامي من أجل تكييف الطاقة الحيوية في الإنسان، وتسلل الأفكار المتخاذلة إلى سلوكه واندماجها فيها وتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية وظهور الفردانية وفساد روابط العالم الثقافي وانعدام الفاعلية وطغيان المادة وهو الطابع العام الذي يسم المجتمع الإسلامي عموما.

وحتى البلدان الإسلامية التي استطاعت أن تلقي بالاستعمار خارج أراضيها مازالت تعاني أوضاع عصر ما بعد الموحدين (ما بعد الحضارة الإسلامية) ذلك أن ظاهرة الاستعمار التي تعرضت لها المجتمعات الإسلامية لم تكن لتحدث لولا القابلية للاستعمار في البنية المجتمعية وهي ذهنية إنسان ما بعد الموحدين[10]. وها هو الاستعمار يعود إليها بشكله المقنع الجديد ليتحكم في مصيرها إيديولوجيا، وسياسيا، واقتصاديا، وثقافيا. ويرى ابن نبي أن جماع هذه المجتمعات لا يمكن لها التفصي من هذه القابلية المزرية ما لم تتغير جوهريا من الداخل.

فالقابلية بما هي عامل معطل لكل جهد اجتماعي تبين عدم أهلية الإنسان المسلم لتشييد حضارة وهو ما يمنعه من دخول التاريخ الذي أقصي منه منذ سقوط دولة الموحدين، وبذلك فإن القابلية للاستعمار طبعت على نفسية الفرد وانفعالاته وحددت السمت العام للثقافة والأفكار في المجتمع وهي تشكل مرضا

---

[9] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 96.

[10] نفسه، ص 95

عضالا للمجتمع المسلم يجعله في مهب الاستعمار تماما مثل جسد فقد مناعته أمام أمراض مستعصية باتت تنخر جسده العليل.

إن الوقوف على هذه الظواهر السلبية في المجتمعات المسلمة بما هي آفات مرضية ومشاكل سلبية جعلها السمت الظاهر في التركيبة النفسية والثقافية للمجتمع ما بعد الحضارة وهو ما يشهد عليه الواقع في زمنه حيث فقد فيه الفرد كما المجتمع المقومات الأساسية للبناء الحضاري والنهوض الممكن. إلا أن مالك بن نبي لم يغلق الباب أمام التغيير إذ منح إنسان ما بعد الحضارة إمكانية التغيير والتحرك في اتجاه التاريخ من جديد من منطلق المبدأ القرآني (تغيير ما بالنفس) وهو ما يعطي الانطباع أن التخلف في المجتمعات المسلمة ليس قدرا مقدورا وإنما يمكن تغييره متى توفرت الإرادة في التغيير.

وهو ما يلتقي مع ما طرحه مصطفى حجازي في كتابه التخلف الاجتماعي مدخلا إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، حيث يؤكد أن الإنسان المقهور مولع بالتباهي بقوته التي يرى أنها درع وحماية له وهي رمز وجوده الجديد ومن هنا مباهاة الإنسان المقهور باستعراض قوته لتصبح القيمة الوحيدة لكيانه الجديد لذلك يتعرض العمل التحرري إذا لم يكن منظما ومؤطرا إلى نوع من الانتفاضة السحرية والتخييم عند لحظة التحرر بما هي فعل عنيف أكسبها قيمة مضافة، ويظل الإنسان المقهور على عجلة من أمره يستطيب الحلول السحرية العاجلة. هذه الحاجة إلى الخلاص قد تخلق عقبة فعلية في وجه التنظيم والإعداد لمعركة طويلة الأمد وقد تتحول الثورة إلى فورة وتظهر عقدة الاستثناء فتسود العجلة والتفاؤل المفرط غير المستند إلى سند واقعي، بل مجرد حالة مزاجية اهتياجية تلغي الواقع من خلال ازدرائه والقفز على قوانينه [11]

II. محورية بناء الإنسان في التنمية

يؤكد مالك بن نبي ضرورة الاقتداء بنموذج الأمة على عهد رسول الله ص التي انطلقت من نقطة الصفر من حيث الإمكانات، وهو يرى أن الإسلام يمنح للإنسان قيمة التكريم التي وهبها له القرآن وهو لا يقارن بالنماذج الأخرى الوافدة وأن الديمقراطية الإسلامية تحفظ الفرد من النزاعات المنافية للشعور الديمقراطي، ومن أن يسقط في براثن الاستعباد، مثلما هو الحال في الديمقراطية العلمانية حيث يسقط الإنسان فيها ضحية للمؤامرات وتكتلات المصالح أو الدكتاتورية الطبقية. وهو يقرّ بأن الحكم الإسلامي

[11] مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخلا إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 24.

ديمقراطي في مصدره وفي منهجه ويتضمن كل المياسم لديمقراطية سياسية حقيقية يُمنح فيها للإنسان مسؤولية في تأسيس الحكم وتوفير الضمانات اللازمة التي تحميه من الجور والاضطهاد. وهو يرى أن المشروع الديمقراطي في المجال الاقتصادي وفقا للتصور الإسلامي يقوم على مبادئ عامة تهدف إلى توزيع الثروة حتى لا تصبح دولة بين الأغنياء والمترفين.

ويؤكد ابن نبي أن الدين أهم وسيلة للضبط الاجتماعي من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع في ما يبثه من تعاليم تضبط العلاقات والمعاملات وهو يربط مع حركة الإصلاح لجمال الدين الأفغاني وحركة التجديد لمحمد عبده. على أن هذه الحركات الإصلاحية ذات المنزع الإسلامي، لم تستطع حسب ابن نبي أن تترجم إلى وظيفة اجتماعية دينية. رغم أنها نجحت في إزالة الركود الذي ساد في المجتمع ما بعد الموحدين. وأن الحركة الحديثة لزعامة أتاتورك لا تقوم على نظرية محددة المعالم غير الولع بالمستحدثات وأن تجعل المسلم زبونا مقلِّدا دونما أصالة لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها وتغلق أبواب مدارسها مخافة أن يتعلم التلاميذ المسلمون كيفية استعمال مواهبهم في تحقيق مآربهم.

1. **الإنسان القرآني**
2. **الإنسان الناهض: إنسان كامل**

يرى مالك بن نبيّ أن تثبيت الحضارة لأي أمة ذات شروط تستند إليها، منها التاريخي ومنها النفسي والاجتماعي، وتبدأ هذه الشروط في شكل فكرة ثم تتطور لتصبح نسيجا ذا طابع اجتماعي، وأن الحضارة الإسلامية تنطلق من مصدر إلهي وتجمع بين كفتين أحدهما مادي دنيويّ يعمر الحياة وينمو بالخير وبعبادة الله والاجتهاد فيهما وتنمو الثانية بالاعتناء بالدار الآخرة بكل مستحقاتها وأشراطها وهو بذلك يبين تمايز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات بما استودع فيها أهداف وغايات سعى مالك بن نبي إلى استيضاحها وتبدأ ب" تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي مما فيه من عوامل قتالة ورمم لا فائدة منها حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة"[12]

وبذلك فإن جلّ ما ألفه مالك ابن نبي يستجمع الإبداع في حل المشكلات الحضارية ببناء الإنسان أولا، وهو يرى أن القانون الأخلاقي المتضمن للعلاقات الاجتماعية التي هي في جوهرها قيم ثقافية تقوم مقام العامل المحافظ على تماسك المجتمع ويضرب مثلا في سمو خلق الأنصار عند استقبالهم المهاجرين من الرعيل الأول حيث بلغت بهم درجة الإيثار أن تقاسم الرجل ماله وزوجاته مع أخيه المهاجر خدمة لفكرة وهدف

[12] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984، ص 70.

رسالي من أجل التمكين لهذا الدين الذي أحدث ثورة في التقاليد والقيم الجاهلية فاستهجن جزء منها واستحسن آخر مثل الكرم ونصرة المظلوم والذود عن حياض الشرف ونبذ الهون وإعانة الملهوف، والشجاعة عند المواجهة وعدم التولي يوم الزحف... واستطاع المسلمون بقيادة الرسول الأكرم تثبيت معالم دولة استمرت زمنا طويلا وفق مبادئ ثابتة .. وفي المحصلة فإنه لا مجال لشعب أن يحل مشكلاته الحضارية ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية ولم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارة أو تهدمها"[13]

وقبل اقتراح النموذج الممكن قيّم مالك بن نبي مسيرة الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي، منذ مرحلة النشأة؛ وهو ينقد العقلية الأصولية وفق تصور الإمام محمد عبده، وكذلك محمد إقبال بعده، ولكن ابن نبي بشترك معهما في التأكيد على قول مالك بن أنس "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" استلهاما لوضوح الرؤية باعتبارها القانون الثابت والسنة التاريخية في التفكير الإسلامي، لأن وضع الأمة الحالي إنما هو امتداد للوضع الذي تشكلت فيه، وهو ما يعطي تصور الإنسان لذاته وللكون وللحياة[14].

III. دور الثقافة في مشروع التنمية

إن الحضارة في بعدها الوظيفي عند ابن نبيّ مثل جسم الإنسان.. والثقافة فيها بمثابة الدم الذي يغذي شريانها والأفكار جيناتها وبرنامجها الوراثي"[15]. وإن هذه الأفكار حسب رأيه، نوعان في المجتمع:

- أفكار عملية نخص الجانب المادي (عالم الأشياء) في المجتمع مثل التقنية. وهو يقول: "يواجه كل جيل بوسائله التقنية الظروف الخاصة بتاريخه بعد أن يدخل عليها تعديلات أقل أو أكثر تلائم مسيرته" [16]
- أفكار موضوعية: يقول ابن نبي: "ويبلغ هذا الابتعاد ذروته عندما يدخل المجتمع مرحلة الغريزة إذ تمّحي عندئذ النماذج المثالية وتخون الأفكار المطبوعة"[17] وهو يقيم معادلة بين الأصيل والأثيل من الأفكار في المجتمعات العربية الإسلامية وانجرار الناس إلى الأفكار الوافدة من الثقافات الغربية

---

[13] نفسه

[14] انظر ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 2002، ص 109.

[15] انظر جيلاني بوبكر، مشكلة الثقافة، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 46.

[16] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984، ص 71.

[17] نفسه

على حساب الأفكار الأصيلة، مما أورث تدهورا في القيم والأفكار المكتسبة وكان له ضرر أخلاقي ومادي في العالم الإسلامي"[18]

إن تحقق أي مشروع حضاري حسب مالك بن نبي يستوجب الاعتماد على الأفكار الأصيلة التي تأسّس عليها المجتمع في انبعاثه الأول، وهو شرط لا يمكن التنازل عليه واقعا، بل يجعل منه شرط مواكبة أي تطور حضاري ممكن ضمن معادلة ثلاثية يقيمها تعتمد الإنسان والأفكار والأشياء ركائز لمشروعه النهضوي.

وقد حاول ابن نبي في كتابه "مشكلة الثقافة" أن يقدم تعريفا لمفهوم "الثقافة" تعريفا أصيلا لم يتأثر بالتعاريف السائدة عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الغربيين؛ فأورد أصل الكلمة في اللغة العربية ومفهومها في اللغة اللاتينية ثم انتقل إلى تحديد عناصر الثقافة والوقوف على تكامل هذه العناصر وتفاعلها وإلى تحديد دور الأخلاق في تركيب عناصر الثقافة[19].

ثم عرف المفهوم في المجال النفسي والاجتماعي بكون الثقافة: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقَّنُها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه. والثقافة على هذا، هي المحيط الذي يشكل الفرد فيه طباعه وشخصيته"[20]. وأقام ابن نبي علاقة وثيقة بين الثقافة والسلوك مؤكدا أن: "السلوك الاجتماعي للفرد خاضع لأشياء أعم من المعرفة وأوثق صلة بالشخصية منها بجمع المعلومات "[21]

وللثقافة عنده وجهان: وجه يمثل التنمية، وآخر يمثل ما دون التنمية من هنا نستطيع الجزم بأنه لا توجد ثقافة للتخلف، وإنما هي اللاثقافة، وهي المستوى الاجتماعي التاريخي، الذي لا بد أن ننطلق منه لنبني ثقافة تتمتع بالأصالة والعالمية في آن معاً[22] ". فابن نبي في مشروعه الفكري يطابق مفهوم الحضارة مع معنى الثقافة فهو يعرفها بأنها: " في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة"23 فالثقافة هي جوهر الحضارة لأن كل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيز التنفيذ

---

[18] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1970، ص 41

[19] انظر مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 4، دمشق، دار الفكر، 1984، ص 12

[20] نفسه، ص 15

[21] الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 3، دمشق، دار الفكر، 1988، ص 75

[22] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ص 136.

[23] مالك ابن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص 98.

فجوهر الأول هو جوهر الآخر بالضرورة " 24. وقد اعتمد ابن نبي في بناء مشروعه على القراءة الباتولوجية للواقع الذي يعيش فيه ، وهو ما يعبر عنه اليوم بعلم النفس الاجتماعي25 فالتشخيص الصحيح يعطي علاجا صحيحا، وبحسب ابن نبي فإن المشكلة الحضارية عند العرب تتمثل في الانحسار الحضاري أي توقف الدورة الحضارية وتعطلها، وهو يلخص الأمر في « أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة 26 ، ولو أردنا محاكاة هذه الجملة بصورة أخرى - مع اعتبار ما بين الحضارة والثقافة من ربط وثيق - لقلنا : « إن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة » ، وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة . وإذن فمصير الإنسان رهن دائماً بثقافته"27، فالتنمية عند مالك هي «غير نفسك تغير التاريخ" 28 . وهو يعتبر أن علاج أمراض المجتمع بداية الحل لمشكلة التخلف والمشاكل الحضارية مثل القابلية للاستعمار وتكديس الأشياء والمطالبة بالحقوق على حساب القيام بالواجبات والانتماء إلى عالم الأشياء والأشخاص على حساب عالم الأفكار...الخ. ويعتبر أن مفاتيح الحل تكمن في معالجة الذات قبل الآخر...لذا تبرز أهمية الإنسان في بلوغ الحضارة بما هي التنمية، ولعل هذا ما يعزز ثبات الفكرة القائلة بأن الجوانب العقدية والأخلاقية والاجتماعية، وهي مسائل ثابتة، لا بد من أن تؤخذ بعين الاعتبار عند وضع أية نظرية تنموية، يقول ابن نبي: "ألم يكن موطن المعجزة هو ما دل عليه القرآن أي في النفس ذاتها؟ وإن التغيير هو الشرط الجوهري لكل تحول اجتماعي رشيد."[29]، وهنا يشير ابن نبي إلى منهجه في التغيير الذي استمده كما يشير إلى ذلك من المبدأ القرآني: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ..." [الرعد:11]، فالتغيير عنده يبدأ بالإيمان بفكرة ثم تمثل هذا الإيمان في الواقع بترسخه في النفس البشرية بحيث يصبح وقودا للحركة الاجتماعية والتغيير يقول: "الحضارة تولد مرتين أما الأولى فميلاد الفكرة الدينية، وأما الثانية فهي تسجيل هذه الفكرة في الأنفس، أي دخولها في أحداث التاريخ[30].

1. **تأصيل المفهوم تأصيل الكيان**

---

[24] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 102.

[25] شروط النهضة ص 40-41

[26] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ص 100.

[27] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ص 100.

[28] كتاب شروط النهضة، ص 32-33

[29] شروط النهضة ص 30.

[30] شروط النهضة، ص 55.

طرح مالك بن نبي جملة من المحددات السلوكية لبناء الإنسان المسلم في ضوء القرآن والسنة سيرا به من إنسان النصف إلى الإنسان الرسالي، وهي شروط تراعي واقع المجتمعات المسلمة اليوم كما تراعي الأبعاد المختلفة في بناء الإنسان الروحية منها والسلوكية والاجتماعية والأخلاقية والعقلية والجمالية...الخ. ليكون هذا الإنسان المسلم مؤصّلا لكيانه وفق مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة، جديرا بحمل رسالة التغيير المنوطة بعهدته إنسانا رساليا.

وبمثل عالم الأشخاص أحد أركان مثلث ابن نبي في التنمية حيث يشكّل عالم الأشياء وعالم الأفكار ضلعيها الآخرين. وتمثل شبكة العلاقات الاجتماعية المنهارة في العالم الإسلامي إحدى تمظهرات انهيار عالم الأشخاص وهو ما يستدعي إعادة ترميمه لأنه يمثل القاعدة الصلبة التي ينطلق منها كل عمل تاريخي مشترك. وبقدر ما تكون هذه الشبكة متصلة بأصولها الروحية تكون قوة تماسكها فعالة بما أن العلاقات الاجتماعية مرتبطة بالعلاقات الروحية. ولذلك فإن مالك بن نبي عمل على تكييف الإنسان المسلم اجتماعيا بطريقة تجعل من كل تصرفاته وانعكاساته تتوافق مع النزعة الاجتماعية بإحياء سلطة الضمير التي يعكسها الالتزام ا لأخلاقي والسلوكات المسؤولة وإيصالها بالمثل العليا وغايات سامية ترتبط برسالة اجتماعية تليق به إنسانا رساليا ملتزما[31] وأن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بحسب تأثير المبدأ الأخلاقي الذي بفرضه الدين وفق التصور الإصلاحي الذي يراه ابن نبي.

2. الحرية طريق للتنمية

اهتم مالك بن نبي بمفهوم الحرية بما هو أس ثابت للتنمية وتطوير المجتمعات فقلّب المصطلح في تصريفاته وتشقيقاته الممكنة ومرادفاته في المعنى مثل الإرادة والديمقراطية بوصفها مجموعة من الشروط الاجتماعية والسياسية الضرورية لتكوين هذا الشعور عند الفرد وتنميته.. كما أورد مناقضاته من المفاهيم مثل العبودية والرق والاستبداد والاستعمار ...الخ وهو يرى أن الحرية هي تقابل بين ثنائية العبد والسيد أو الرقيق والحر ويؤكد على أهمية العدالة في إقامة نظام الحكم ويربط بين مفهوم الحرية ومفهوم الديمقراطية المعتدلة وقابل بين المساواة في الحقوق السياسية وخلو الديمقراطية من كل الشوائب، وأكد أن الحرية هي المقصد من الديمقراطية، وقاعدتها تبادل الأمر والطاعة[32].

---

[31] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 2002 ص 57.

[32] انظر رقية بوسنان، إشكاليات الحرية وسياقات ممارساتها عند مالك بن نبي، قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 16، 2020.

ويرى أن الاستعمار كما الاستبداد سلب حريات الشعوب ومقدراتها في التنمية من ذلك سلب حرية التعليم، وحرية الفكر، وحرية البناء، والتنمية. وهو يعيب على الشعوب المستلبة قابليتها للاستعمار. يقول: "خصص الغرب نظرته بالنسبة إلى المبادئ ومنها الحرية كما خصصها بالنسبة إلى الرجال، إذ أنّ نظرته إلى ما هو أوروبي تختلف عما ليس كذلك، فهو حينما ينظر إلى مشكلات الشعوب الأخرى فإنه يضع نظارات على عينيه وإذا بهذه النظرة لا تتصل بقيم الأخلاق وبقيم السياسة"[33] وأن الخط العام في السياسة الغربية الاستعمارية يسير في اتجاه مصادرة الحريات العامة كما صادر الأرض والعرض. وإن هذا الاستبداد في المستعمرات سخرت له مجامع علمية تتبناه وتسهر على فهمه وتقنينه ومن ثمة توجيه السياسات في التعامل مع هذه الظواهر الجديدة، ولنا مثل في مدرسة العلوم الاستعمارية بفرنسا، ويتعدل الميثاق الاستعماري، وفق الظروف، والأحداث مدّا، وجزرا.

وقد تمثل هذا التزاوج بين الاستعمار ومشاريعه العلمية في التعامل مع الشعوب ومن أهمها مشروع مارشال الذي يدعم الشعوب الغربية المتخلفة عن الركب الحضاري ودفعها إلى التنمية والنهوض ويقدم إسعافات وقتية ويضمن لأفراد المجتمع الحرية والعمل والخبز أو الوسائل الضرورية لكسبها، وفي المقابل يبتدع هذا الاستعمار للشعوب المتخلفة وخاصة منها العربية مشروعا أطلقت عليه اسم النقطة الرابعة، وهو مشروع هلامي يبيع الشعوب المستعمرة الوهم مثلما يفعل الآن صندوق النقد الدولي، ويسعى إلى تأبيد تخلفها وإقامة منظومات تحافظ على ميسم القابلية للاستعمار وعدم تحقيق أي نهضة ممكنة، ويظل إنسان النصف مصبا للنفايات باسم الحداثة وتظل أرضه مستباحة .

كما يركز الاستعمار حسب ابن نبي على تقويض دعائم التعليم في المجتمعات المستعمرة واستبعاد منظومة القيم التربوية الإسلامية والعمل على نشر الجهل واستبدال الثقافة الأصلية للشعوب المستعمرة بثقافة موغلة في الشكليات ومحو اللغة العربية لتترك مكانها للغة وافدة هجينة مثلما هو الحال في شعوب المغرب العربي مثلا حيث فرضت عليهم اللغة الفرنسية لغة رسمية في التعليم ومؤسّسات الدولة وكانت حاجزا منيعا من كل نهضة ممكنة. ويتبع الاستعمار طريق الغموض في ما يتعلق بتحرير الأرض المستعمرة التي يصفها بالقاصر وهو يتحدث عن مراحل في التحرر غير محددة بزمان أو مواثيق.

ويؤكد نجاح المستعمر في زرع مؤدلجين بإيديولوجيات مخالفة لقيم المجتمع صنعتهم المؤسسات الاستعمارية في مصانع خاصة ينفذون سياساتها الظلامية، ويشبه هؤلاء بالأرَضة التي تقضم الهوية والتاريخ

---

[33] الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 3، دمشق، دار الفكر، 1988، ص 124

ويغدق الاستعمار عليهم الأموال الطائلة من أجل تنفيذ مشاريعه الهدامة. في الوقت الذي يتصدى فيه للمثقفين الأصوليين المكافحين لمشروعه الاستعماري، ويعلي من شأن الحضارة الغربية ومنتجاتها الحداثية، يقول مالك بن نبي: "يرى غوستاف لوبون أن جميع الوسائل اتخذت في أوروبا من أجل محو الحضارة الإسلامية من سجل التاريخ فعمدوا إلى تزويره حتى ظن الذين أخذوا عنهم أن التاريخ البشري ليس تلك السلسلة التي تتصل فيها جهود الأجيال من كل الأعراق والأديان، ولكنهم اختزلوها في المسافة بين الأكربول في آثينا وقصر شاية بباريس"[34].

ويطرح ابن نبي أزمة العقل والسلوك في العالم الإسلامي الواقع تحت نير الاستعمار وضرورة مجابهة مخططاته الرامية إلى إحداث فجوة بينها وبين قيمها ومحددات هويتها لتسهل قيادتها والسيطرة على مقدراتها، وما يزيد من تمكن القوى الاستعمارية هو فكرة القابلية للاستعمار أو أن المغلوب مولع بتقليد الغالب، في إطار مناقشته للأفكار القاتلة والأفكار الميتة، أسرت الفرد العربي المسلم بجاذبية ظاهرة لحداثة غربية موهومة. ويؤكد أن الخلاص للأمة في الاقتداء بنموذج دولة الرسول ص التي انطلقت من نقطة الصفر من حيث الإمكانات سواء العسكرية منها أو السياسية أو الاجتماعية[35] ولكنها كانت فعالة في صناعة الرجال، وهو ما ينتهي إليه من أن الحل الناجع يتمثل في جوهر الإسلام كنظام متكامل وشامل في جميع المجالات، وأن الأنظمة التي جُربت في الدول العربية الإسلامية ما بعد دولة الموحدين هي أنظمة هجينة لم تستطع أن تحقق التنمية ولا التوافق مع منظومة القيم الإسلامية.

خاتمة

يعتمد مالك بن نبي في مشروعه الإصلاحي التنموي المقاربة الشاملة للإنسان والحضارة، وهي مقاربة تنظر إلى الإنسان باعتباره محركا للتاريخ، وإن التاريخ الإسلامي هو تاريخ الأدوار الحضارية التي تقلّبت فيها الحضارة الإسلامية ويمثل الإنسان جوهرها ومرتكز كل إصلاح وتنمية، وقاعدة لكل مواجهة مع الاستعمار، ولكي يعيد الإنسان المسلم صناعة تاريخه عليه التخلص من عقلية المؤامرة "ذلك المشجب الذي نجعل منه مبررا لفشلنا ومهربا من مواجهة عجزنا وعللنا، فالتاريخ لا تصنعه الأمنيات ولا إلقاء التبعات على

---

[34] رقية بوسنان، إشكاليات الحرية وسياقات ممارساتها عند مالك بن نبي، قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 16، 2020.

[35] انظر رقية بوسنان، إشكاليات الحرية وسياقات ممارساتها عند مالك بن نبي، قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 16، 2020.

الآخرين وإنما يصنع ببعث داخلي، وحركة ذاتية، ولا يكون ذلك إلا بوقفة نقدية من شأنها أن تحرر العقول، وتطارد ظلام الأوهام بأنوار الحقائق"[36] وأن يتجه الإنسان إلى التغيير من إنسان النصف المهدور والمغدور في صيغة المفعول إلى الإنسان الرسالي الكامل في صيغة اسم الفاعل المدرك لأصالته في التاريخ وجدارته في الجغرافيا.

إن الإنسان بأبعاده الترابية والعقلية والروحية والسلوكية هو الشرط الأساسي لبناء الحضارة وهو محور الفاعلية في حركة التاريخ والتنمية وهو المقصد الذي تنتهي إليه كل المحاولات نحو إنسان رساليّ وفق المعادلة الكيميائية التي أسّس عليها مشروعه: الإنسان والتراب والوقت وهي معادلة تنتهي بمرحلة الحضارة عندما يضاف إلى الثالوث المؤسس عنصر الفكرة الدينية التي تمدّ المجتمع بفكرة دافعة للإقلاع الحضاري ومن ثمة ميلاد مجتمع يتحرك في التاريخ ويتجه صوب بناء حضارته الإنسانية الجديدة وفق رؤية واضحة يستمدّها من الإسلام باعتباره الإطار المرجعي الأساسي في التعامل مع مختلف المشكلات وأهمها مشكلة الحضارة والثقافة وصناعة التاريخ وفق رؤية واضحة وحاسمة في آن معا وسط حالة من الفوضى والتيه والتبعية والتخلف الذي يسم العالم الإسلامي. ولا يمكن التخلص من هذه الحالة والاتجاه نحو النهوض مرة أخرى إلا بتحري الرؤية القرآنية للتاريخ ومصائر الأمم والإنسان وفق التصورات الأساسية للعقيدة وربطها بمبادئ المسلمين الأول حينما شكلوا ثقافة ونسقا حضاريا وجماعة سياسية وحققوا الخلافة وفق القيم التي وضعها النص القرآني من أجل البناء والنهوض والتنمية. والتأكيد على دور الإسلام باعتباره مصدرا للإلهام في بناء الفرد والمجتمع، والإيمان بأن التنمية لا تكون راسخة أركانها إلا إذا كانت متجذرة في المجتمع متطابقة مع تصوراته ومعتقداته وفلسفته في الحياة.

- **المصادر**

- مالك بن نبي

-تأملات، دار الفكر، دمشق، ط 2 ، 1988.

-شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط 4، 1969.

[36] انظر عبد الوهاب بوخلخال، قراءة في فكر مالك بن نبي، كتاب الأمة، عدد 151، السنة 32، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2012، ص 94.

-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 3، دمشق، دار الفكر، 1988

-فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، ط 2، دمشق، دار الفكر، 2000.

-القضايا الكبرى، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1991

-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، ط 1، دمشق، دار الفكر، 1988

-مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 4، دمشق، دار الفكر، 1984

-ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 2002

-وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 5، الجزائر، دار الفكر، 1986

➢ المراجع

- ابن براهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة. دار مدني، 2002

-أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا. ط: 2. بيروت: دار النفائس، 1986

- بدران بن مسعود بن الحسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري- أنموذج مالك بن نبي- ط: 1. سلسلة كتاب الأمة، قطر، 1999، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. العدد: 73

- رقية بوسنان، إشكاليات الحرية وسياقات ممارساتها عند مالك بن نبي، قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 16، 2020.

- سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة. ط: 1. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. العدد: 100،2004

- سعيد إسماعيل علي، فقه التربية. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي، 2001

- فوزي الشربيني، التربية الجمالية بمناهج التعليم، ط 1، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 2005

- علي القريشي، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر. ط: 1. الزهراء للإعلام العربي، 1989

-عبد الوهاب بوخلخال، قراءة في فكر مالك بن نبي، كتاب الأمة، عدد 151، السنة 32، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2012.

- محمد أحمد موسى، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، دار الكتاب الجامعي، 2002

- محمد بغداد باي، التربية والحضارة: بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، عالم الأفكارس، 2006

- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخلا إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005

-محمد شاويش، مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007.

-محمود محمد سفر، دراسة في البناء الحضاري "محنة المسلم مع حضارة عصره"، ط 20، سلسلة كتاب الأمة، قطر، 1989، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، العدد: 21

-نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، ط 1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1997